

تفسير البحر المحيط

@ 486 @ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ
اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ
يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ (سقط : إلى آخر الآية) { .

هذه السورة مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر . وقال ابن عباس : مكية إلا أربع
آيات من قوله : { قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْوَدَّ فِي
الْقُرْبَى } إلى آخر الأربع آيات ، فإنها نزلت بالمدينة . وقال مقاتل : فيها مدني قوله
: { ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عَبْدَاهُ } إلى الصدور . ومناسبة أول السورة لآخر
ما قبلها أنه قال : { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ { الآية ، وكان في
ذلك الحكم عليهم بالضلال . لما كفروا به قال هنا : { كَذَلِكَ } ، أي مثل الإيحاء السابق
في القرآن الذي كفر به هؤلاء ، { يُوحى إِلَيْكَ } : أي إن وحيه تعالى إليك متصل غير
منقطع ، يتعهدك وقتاً بعد وقت . وذكر المفسرون في { * حمسق } أقوالاً مضطربة لا يصح
منها شيء كعادتهم في هذه الفواتح ، ضربنا عن ذكرها صفحاً . وقرأ الجمهور : يوحى مبنياً
للفاعل ؛ وأبو حيوة ، والأعشى عن أبي بكر ، وأبان : نوحى بنون العظمة ؛ ومجاهد ، وابن
وكثير ، وعباس ، ومحبوب ، كلاهما عن أبي عمرو : يوحى مبنياً للمفعول ؛ وإرفوع بمضمر
تقديره أوحى ، أو بالابتداء ، التقدير : [] العزيز الحكيم الموحى ؛ وعلى قراءة نوحى
بالنون ، يكون { عِنْدَ اللَّهِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } مبتدأ وخبراً . ويوحى ، إما في
معنى أوجب حتى ينتظم قوله : { وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ } ، أو يقرأ على موضوعه
، ويضمر عامل يتعلق به إلى الذين تقديره : وأوحى إلى الذين من قبلك . .

وتقدم الكلام على { تَكَادُ * السَّمَاوَاتِ } في سورة مريم قراءة وتفسيراً . وقال
الزمخشري : وروى يونس عن أبي عمر وقراءة عربية : تتفطرن بتاءين مع النون ، ونظيرها حرف
نادر روي في نوادر ابن الأعرابي : الإبل تتشممن . انتهى . والظاهر أن هذا وهم من
الزمخشري في النقل ، لأن ابن خالويه ذكر في شواذ القراءات له ما نصب : تفطرن بالتاء
والنون ، يونس عن أبي عمرو . وقال ابن خالويه : هذا حرف نادر ، لأن العرب لا تجمع بين
علامتي التأنيث . لا يقال : النساء تقمن ، ولكن يقمن ، والوالدات يرضعن . قد كان أبو عمر
الزاهد روى في نوادر ابن الأعرابي : الإبل تتشممن ، فأنكرناه ، فقد قواه ، لأن هذا كلام

ابن خالويه . فإن كانت نسخ الزمخشري متفقة على قوله بتاءين مع النون فهو وهم ، وإن كان في بعضها بتاء مع النون ، كان موافقاً لقول ابن خالويه ، وكان بتاءين تحريفاً من النسخ . وكذلك كتبهم تتفطرن وتتضمن بتاءين . والظاهر عود الضمير في { مِنْ فَوَوْقَهُنَّ } على { السَّمَاوَاتِ } . قال ابن عطية : من أعلاه . وقال الزمخشري : ينفطرن من علو شأنه تعالى وعظمته ، ويدل عليه مجيئه بعد { الْعَلَى الْعَظِيمُ } . وقيل : من دعائهم له ولداً ، كقوله : { تَكَادُ * السَّمَاوَاتِ * يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ } . فإن قلت : لم قال { مِنْ فَوَوْقَهُنَّ } ؟ قلت : لأن أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات ، وهي العرض والكرسي وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش ، وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار ملكوته العظمى ، فلذلك قال : { يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوَوْقَهُنَّ } : أي يبتدء الانفطار من جهتهن الفوقانية . وقال جماعة ، منهم الحوفي ، قال : { مِنْ فَوَوْقَهُنَّ } ، والهاء والنون كناية عن الأرضين . انتهى . { مِنْ فَوَوْقَهُنَّ } متعلق يتفطرن ، ويدل على هذا القول ذكر الأرض قبل . وقال علي بن سليمان الأخفش : الضمير للكفار ، والمعنى : من فوق الفرق والجماعات